# مشكلات الترجمة في المصطلح العربي اللساني

مازن الوعر(*)

*) كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى – مكة.

## ملخص

إن أي باحث عربي لساني يريد أن يتصدى لترجمة أي موضوع لساني حديث إلى اللغة العربية لابد وأن يصطدم بالمعضلة الضاربة جذورها في الثقافة العربية المعاصرة، تلك هي مشكلة الترجمة في المصطلح العلمي عموماً والمصطلح اللساني خصوصاً.

وتزداد المشكلة تعقيداً إذا علمنا أن التطورات العلمية واللسانية الغربية تسير بسرعة عجيبة مواكبة التطورات التكنولوجية المعاصرة.

وهكذا فإن المصطلحات المتعلقة بالعلوم اللسانية الحديثة كاللسانيات الحاسوبية - المعلوماتية واللسانيات الرياضية واللسانيات البيولوجية.. إلخ مفقودة من الثقافة العربية اللسانية المعاصرة.

إن مشكلة ترجمة المصطلح العلمي اللساني تتلخص بالسباق الزمني المرتبط بمواكبة التطورات العلمية الجارية في العلوم الإنسانية والطبيعية على حد سواء.

إن الهدف من هذه الدراسة تبيان المشكلات التي تعيق ترجمة المصطلح العربي اللساني إلى اللغة العربية. هذه المشكلات تتجلى من خلال **حقيقتين اثنتين:**

**الأولى** أن علم اللسان البشري كانت قد وضعت قوانينه ونظرياته ومناهجه في الغرب منذ بداية القرن العشرين، ومازالت هذه البلدان الغربية

تطوره حتى هذا الحين. وهذا بالطبع يحتاج إلى جهود علمية دقيقة وكبيرة جداً لترجمته من اللغات الغربية إلى اللغة العربية.

**الثانية** أن هذا العلم اللساني أصبح له أقسام وكليات خاصة به وانبثق عنه علوم متفرعة وبرامج عديدة وهذا يعني أن عبء الترجمة إلى العربية سيزداد على الباحثين والمترجمين العرب لكي يلحقوا بركب التطور الهائل والمذهل في هذا العلم.

والواقع تتضح هاتان الحقيقتان من خلال تجربتين في مجال ترجمة المصطلح اللساني الغربي إلى اللغة العربية.

تتجلى التجربة الأولى في ترجمة كتاب **اللسان والمجتمع** للباحث اللساني الفرنسي هنري لوفيغر عام 1966م. وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور مصطفى صالح، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سورية عام 1983م.

أما التجربة الثانية فتتجلى في ترجمة كتاب تشومسكي الذي ألفه اللساني البريطاني جان ليونز عام 1970م. وقد قام بترجمته إلى اللغة العربية الدكتور محمد زياد كبه ونشره النادي الأدبي بالرياض عام 1987م.

سوف تبين هذه الدراسة الخصائص الإيجابية والسلبية لكل من هاتين التجربتين في مجال الترجمة ولاسيما الخصائص المتعلقة بدقتها واختيارها المصطلح العربي المناسب ثم تحقيقها الهدف الذي سعت إليه.

بعد ذلك سوف تقترح الدراسة بعض التوصيات من أجل ترجمة علمية للمصطلح اللساني تواكب وبالسرعة نفسها التطورات الغربية السريعة وذلك لكي تأخذ هذه الترجمة طريقها في بناء العلوم والثقافة العربية وهي تطل على مشارف القرن الواحد والعشرين.

## تمهيد:

كان للترجمة دور متقدم في عملية الإيصال والتواصل البشري عبر عصور التاريخ. وكانت وسيلة فعالة للتطور العلمي في الحضارات البشرية. وما إزدهار الحضارة العربية الإسلامية إلا نتيجة للترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية في عصورها المتألقة. أضف إلى ذلك أن الترجمة كانت الأداة الفعالة التي نقلت أوربة من عصر الظلام إلى عصر النور الفكري والعلمي عندما نقلت جميع إسهامات العلماء العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والعلم إلى اللغات الأوربية.

والواقع لقد ازدادت أهمية الترجمة في عالم اليوم ولاسيما في مجال التواصل العام عن طريق وسائل الاتصال المسموعة والمرئية والمعلومات الحاسوبية وفي مجال تناقل مستجدات العلوم والتكنولوجيا بين شعوب العالم.

ويزداد دور الترجمة في العصر الحديث نتيجة لتزايد الندوات والمؤتمرات واللقاءات التي تقتضي كلها الكثير من الترجمة سواء أكانت شفهية أم كتابية.

في هذه الدراسة سوف نتعرف إلى بعض المشكلات الناشئة عن ترجمة المصطلحات اللسانية من اللغات الغربية إلى اللغة العربية وذلك من خلال ترجمتين لكتابين لسانيين أحدهما ترجم من الفرنسية والآخر من الإنكليزية.

وبعد ذلك ستقترح الدراسة بعض التوصيات من أجل ترجمة المصطلحات اللسانية إلى العربية ترجمة علمية دقيقة ومضبوطة.

## 1. مشكلة اللحاق بالتطور اللساني الغربي المذهل:

إن أي باحث عربي لساني يريد أن يترجم عملاً لسانياً غربياً لابد أن

يصطدم بمشكلة المصطلح اللساني. وتزداد المشكلة تعقيداً إذا علمنا بأن التطور اللساني الغربي يواكب التطور التكنولوجي، الأمر الذي يجعلنا نلهث دائماً وراء هذا التطور، ذلك أننا نحن العرب مازلنا نبحث عن أساسيات المصطلح اللساني المقابل مع العلم أن آلاف المصطلحات اللسانية استحدثت نتيجة التقدم الهائل الذي أحرزته اللسانيات في الغرب. وبكلمة دقيقة إن مشكلة ترجمة المصطلح العلمي اللساني وأزمته مرتبطة بالسباق الزمني بين اللسانيات الغربية والتطورات التكنولوجية من جهة وبين مواكبة العرب لهذا السباق من جهة أخرى.

## 2. مشكلة تعدد المصطلح اللساني العربي:

تبدو هذه المشكلة واضحة في الندوات والمؤتمرات والمؤسسات واللقاءات والتآليف اللسانية العربية. فكل مؤتمر أو لقاء أو تأليف له مصطلحاته، تلك المصطلحات التي هي عبارة عن جهود شخصية وتأويلات فردية. من هنا فإننا نجد مصطلحات انكليزية لها أكثر من مصطلح في اللغة العربية. ويتبين ذلك من خلال المصطلحات ومقابلاتها العربية في الجداول التالية:

| inguistics | Ocillograph |
|---|---|
| 1. اللسانيات | 1. مهزاز |
| 2. الألسنية | 2. راسم الذبذبات |
| 3. علم الألسن | 3. راسم ذبذبي |
| 4. علم اللسان | 4. مرسمة الذبذبات |
| 5. علم اللغة | 5. الأوسيلوغراف |
| 6. اللغويات | |

| Phoneme | Allophone |
|---|---|
| 1. الفونيم | 1. ألفون |
| 2. الفونم | 2. بدل صوتي |
| 3. الصوتيم | 3. صوت |
| 4. الصوتم | 4. متغير صوتي |
| 5. الحرف | 5. بلصوت |
| 6. الوحدة الصوتية | |

| Stop | Fricative |
|---|---|
| 1. شديد | 1. رخو |
| 2. انفجاري | 2. احتكاكي |
| 3. وقفي | 3. تسريبي |
| 4. حبيس | |
| 5. مغلق | |

إن الاختلاف في ترجمة المصطلح اللساني الغربي الواحد هو نتيجة لعدم التنسيق والتعاون بين الدول العربية. وبكلمة دقيقة إن هذه المشكلة هي امتداد لمشكلات العرب الثقافية الراهنة والمتعلقة بالهوية القومية والتجربة الحضارية المعاصرة التي تخوضها الأمة العربية.

«وباعتبارنا أمة مجزأة متخلفة باحثة عن هوية حضارية معاصرة لابد للغتنا من أن تعاني التجربة ذاتها، وبذلك تزيد همومها على هموم لغات أخرى كثيرة في العالم نال أصحابها حدوداً مقبولة من التماسك القومي والتقدم الحضاري والمكانة الثقافية العالمية»[1].

ويبدو لي أنه بالإضافة إلى هذه الأبعاد القومية والاجتماعية والثقافية، هناك بعد آخر للمشكلة ذلك هو البعد النفسي (الفردي) للإنسان العربي، والواقع لقد كان العرب القدماء في هذا المجال أفضل منا في توجيه البعد النفسي الفردي توجيهاً جماعياً يقود إلى المنهجية العلمية وإلى الموضوعية.

## 3. مشكلة حداثة اللسانيات وجدتها في الوطن العربي:

ما من أحد (إلا القلة القليلة) تُذكَرْ أمامه اللسانيات إلا ويتساءل ما هو هذا العلم؟ وما هي نظرياته ومناهجه؟ وما هي موضوعاته؟ ثم ما هي أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها؟

هذه التساؤلات هي تساؤلات شرعية مادام هذا العلم جديداً في الثقافة العربية. ويعني هذا أن اللسانيات كعلم حديث مؤصل باللغات الغربية وأن اللغة العربية تنضح من هذا العلم الجديد بدلو الترجمة غير المنظمة والدقيقة.

والواقع أن الإنسان العربي لابد واقع بين خيارين إثنين:

**الأول**: إما أن ينهل من الأعمال اللسانية المترجمة إلى اللغة العربية.

**والثاني**: وإما أن ينهل من الأعمال اللسانية المكتوبة باللغات الأجنبية.

ولكن المشكلة في الخيارين أن الترجمات اللسانية هي ترجمات نابعة من اهتمامات شخصية وليست مترجمة نتيجة لخطة منهجية أكاديمية. أضف إلى ذلك أنه لو أراد الإنسان العربي أن ينظر إلى هذا العلم عن طريق اللغات الأجنبية فإنه سيقع في إطار ثقافة النخبة التي تبتعد عن ثقافة الجماهير الواسعة والعريضة.

نستنتج من ذلك أن المشكلة هنا تتعلق بترجمة هذا العلم كله إلى اللغة العربية ترجمة منسقة ومنهجية. ويعني هذا أننا بحاجة إلى متخصصين بهذا العلم حتى يتمكنوا من ترجمته على نحو علمي موضوعي مفهوم، منطلقين من معارف عربية أصيلة في النحو والبلاغة والكتابة العربية الواضحة.

## كتابان لسانيان مترجمان أنموذجاً

**تمهيد:**

سوف تتضح هذه المشكلات من خلال دراستنا لكتابين مترجمين إلى اللغة العربية.

**الأول**: كتاب (اللسان والمجتمع) الذي ألفه الباحث اللساني الفرنسي هنري لوفيغر وترجمه إلى العربية الدكتور مصطفى صالح.

**والثاني**: كتاب (تشومسكي) الذي ألفه الباحث اللساني البريطاني جان ليونز وترجمه إلى العربية الدكتور محمد زياد كبة.

سوف نتعرف هنا على سلبيات الترجمة وإيجابياتها في كل من الكتابين، ومن ثم سنقترح بعض الأفكار التي نأمل أن تفيد الترجمتين خاصة وثقافة الترجمة عامة.

### 1. التجربة الأولى - اللسان والمجتمع:

(اللسان والمجتمع) هو عنوان الكتاب الذي ألفه الباحث اللساني الفرنسي هنري لوفيغر عام 1966م وترجمه إلى العربية الدكتور مصطفى صالح ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سورية عام 1983م.

لا شك في أن نقل المعارف البشرية من ثقافة إلى ثقافة أخرى عبر قنوات الترجمة يثبت أن المعرفة البشرية هي ملك الحضارة الإنسانية.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقتصر على جماعة معينة دون جماعة بشرية أخرى، وذلك لأن معيار الحضارة والثقافة الخالدة هو انفتاحها وعالميتها وإنسانيتها التي تؤدي في نهاية المطاف إلى تقدم الإنسان والإنسانية.

هذا الأمر متفق عليه منذ قديم الزمان، فالثقافة العربية الإسلامية كما قلنا سابقاً قد حققت هذا المعيار في مرحلة من مراحل سير تطورها وذلك لانفتاحها على الثقافات الأخرى المحيطة بها، والاستفادة منها عبر قنوات الترجمة، ثم لعالمية هذه الثقافة التي انطلقت من الإنسان على أنه الوسيلة والهدف في بناء الحضارة الإنسانية.

إن قضية الترجمة قديماً وحديثاً تضعنا أمام الأسئلة التالية:

ماذا ننقل أو نترجم؟ ولمن ننقل ونترجم؟ ثم كيف تتم عملية الترجمة من ثقافة إلى أخرى؟

هذه الأسئلة تقودنا إلى الملاحظات التالية المتعلقة بكتاب (اللسان والمجتمع) الذي نحن بصدد تحليله:

1. **الملاحظة الأولى**: التي تلفت انتباه القارئ العربي وهو يتصفح هذا الكتاب هي قدَمُه، إذ إن المؤلف هنري لوفيغر كان قد كتبه عام (1966م) وقد ترجمته ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سورية عام (1983م). ويعني هذا أن هناك (18) سنه خلت حتى استطاع القارئ العربي أن يتعرف على بعض النظريات اللغوية التي عالجها كتاب (اللغة والمجتمع). قد يبدو هذا الأمر طبيعياً في الثقافة العربية الأكاديمية، ولكنه ليس كذلك في الثقافات الغربية وذلك أن النظريات والفرضيات والآراء تتطور على نحو مذهل في عالم العلم والتكنولوجيا، الأمر الذي يشكل فجوة علمية وحضارية هائلة بين

العالم العربي الساكن والعالم الغربي المتقدم. فهناك آلاف النظريات الجديدة التي طرحت في عالم المعرفة خلال هذه الأعوام الثمانية عشرة.

وهذا بالطبع لا يتناسب مع مقولة التوازن الحضاري الاستراتيجي، تلك المقولة التي لابد منها لتطوير مجتمعنا العربي تطويراً حضارياً يتناسب مع معطيات العصر. ذلك لأن التوازن الاستراتيجي الحضاري لا يقتصر على الجانب العسكري والإقتصادي فحسب، بل يشمل الجانب العلمي والثقافي أيضاً. وهكذا يمكننا أن نستنتج أنه ينبغي على وزارة الثقافة والإرشاد القومي أن تهتم بترجمة الكتب التي لم يمض على ظهورها إلا 3-5 سنوات وذلك لحداثتها وملاءمتها ضرورات العصر ومعطياته.

2. **الملاحظة الثانية: تتعلق بقضية التخصص.**

فنحن نعلم أن العصر الحديث هو عصر التقنية الدقيقة والتخصص، ولا يمكن لأي باحث أو عالم في حقل من الحقول العلمية أو الإنسانية إلا أن يتمسك بهذه الخاصية العصرية. وذلك لكي يكون بحثه علمياً، ومن أجل أن يطور المعرفة البشرية التي يتخصص بها تطويراً مضبوطاً. صحيح أن هذه القضية هي قضية زئبقية في الثقافة الأكاديمية العربية إلا أن التخلي عنها وإهمالها يشكل فجوة متخلفة في الثقافة العربية.

إن مقولة الأخذ من كل علم بطرف لم تعد تناسب التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل والمذهل في العصر الحديث، بل إن التمسك بهذه المقولة سيجعل من صاحبها جامعاً لكل شيء ولكنه لا يعرف أي شيء. وهذا يتنافى مع الحضارة الحديثة ذات الطابع التخصصي العلمي المضبوط والدقيق.

3. **الملاحظة الثالثة في هذا السياق:** تتعلق بعملية الترجمة نفسها، ذلك لأن الترجمة اليوم لم تعد مسألة شخصية تخضع لاهتمامات فردية

معينة، لقد أصبحت علماً قائماً برأسه له وجوهه النظرية والتطبيقية التي تستفيد كثيراً من حقل اللسانيات. فلم تعد المسألة متعلقة بمعرفة المترجم للغة المترجم منها، واللغة المترجم إليها معرفة لغوية فحسب، بل تجاوزت المسألة هذا الإطار لتشمل تقنيات الترجمة الحديثة وأساليبها وفنونها وضروبها ومناهجها. إن كل هذه التقنيات الحديثة للترجمة يمكن أن تبين من خلال الأسئلة التالية:

ما هو الأسلوب الذي يمكن استخدامه في عملية الترجمة؟ هل أركز على الشكل أو المعنى في عملية الترجمة؟ ماذا أترجم؟ ولمن أترجم؟ وكيف أترجم؟ أي المصطلحات العربية يمكن استخدامها لتعبر عن المفاهيم الغربية الحديثة؟ هل المصطلحات العربية القديمة؟ أم المصطلحات العربية الحديثة؟ كيف يمكن تجنب الالتباس والغموض في عملية الترجمة؟

وهكذا فإن قضية الترجمة أصبحت قضية تقنية ذات أبعاد نظرية (نظريات الترجمة المعتمدة على اللسانيات) وأبعاد تطبيقية (ممارسة الترجمة الشفهية والكتابية). لذلك يمكن لوزارات الثقافة والمؤسسات الثقافية والجامعات في الوطن العربي إنطلاقاً من اهتمامها بقضية الترجمة - أن تضع بعض البرامج المكثفة المرتبطة بالترجمة من أجل تقديمها وتدريسها للمترجمين ثم تدريبهم بشكل مكثف على أساليب الترجمة العصرية من أجل ضمان عملية النقل العلمي الأمين.

4. **الملاحظة الرابعة**: تتعلق بنقد الكتاب نفسه ومن الداخل. الواقع إن كتاب (اللسان والمجتمع) ليس من اللسان والمجتمع بشيء. إنه كتاب فلسفي محض. فقارىء هذا الكتاب سيكتشف أن ثلثي الكتاب قد خصص للحديث عن علاقة اللغة بالفلسفة ثم عرض النظريات المختلفة في هذا الشأن ونقدها أحياناً وتحبيذها في أحايين أخرى. وإن الثلث الأخير من الكتاب قد تناول علاقة اللغة بالمجتمع وبغموض والتباس

واضحين. وهكذا يمكننا القول إن تصنيف هذا الكتاب لابد أن يكون في مكتبة الفلسفة، أكثر منه في مكتبة اللسانيات على الرغم من أن هناك علاقة وثيقة اليوم بين اللسانيات والفلسفة وخاصة المنطق.

وخلاصة القول إن كتاب (اللسان والمجتمع) هو كتاب صعب جداً في مصطلحاته وغامض جداً في مفاهيمه وقديم جداً في معلوماته لا يخدم مقولة التوازن الحضاري الاستراتيجي، تلك المقولة التي ينبغي أن تكون شغلنا الشاغل في عصر الهويات القومية والحضارية.

## 2 - التجربة الثانية - تشومسكي:

(تشومسكي)، هو عنوان الكتاب الذي ألفه الباحث اللساني البريطاني جان ليونز عام (1972م) وترجمة إلى العربية الدكتور محمد زياد كبه، ونشره النادي الأدبي بالرياض عام (1988م). ما هي طبيعة هذا الكتاب؟ وكيف تم نقله إلى اللغة العربية؟ ثم ما هي مواضع القوة في هذا النقل وما هي مواضع الضعف فيه؟ وبعبارة دقيقة: أين يقع هذا الكتاب المترجم في قائمة الكتب المنقولة إلى العربية؟.

سأحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ضمن إطار عرض الجوانب الإيجابية والسلبية التي طبعت الكتاب.

### أ. الجوانب الإيجابية:

(1) إن أول ما يلفت نظر الباحث المختص باللسانيات أن هذا الكتاب هو من الكتب القليلة في الوطن العربي في موضوعه، ذلك لأنه يعطي فكرة كافية وشافية عن نظرية تشومسكي اللسانية منذ بواكيرها الأولى (1957م) وحتى بداية السبعينات من هذا القرن. والأهم من هذا هو كفاءة المترجم الذي استطاع تطويع المادة اللسانية التشومسكية المعقدة ووضعها في اللغة العربية على نحو واضح

وبسيط. فلا يستطيع المرء أن يقوم بهذه المهمة الصعبة ما لم يكن مختصاً بهذا الضرب من العلم.

وهذا يؤيد الفكرة التي أعتقدت بها والتي كنت قد ذكرتها في كثير من الكتابات وهي أنه إذا أردنا نقل معرفة متخصصة من لغة إلى لغة أخرى فلابد أن يقوم بهذه المهمة باحث متخصص بتلك المعرفة وذلك انطلاقاً من التقنيات الحديثة الموضوعة في علم الترجمة. لأن الترجمة ليست عملية نقل للرموز والمصطلحات المعجمية من لغة إلى لغة أخرى، وإنما هي نقل الفكر الحي المتألق بعد فهمه واستيعابه من ثقافة إلى ثقافة أخرى آخذاً بالاعتبار كل المكونات التي تكوِّن هاتين الثقافتين وتجعلهما مفهومتين لدى الآخرين.

والحق يقال لقد استطاع المترجم أن يحقق هذا المعيار عندما نقل هذا الكتاب إلى الثقافة العربية. ولا ينتابني شك أبداً أنه على الرغم من صعوبة نظرية تشومسكي وتعقدها (وذلك لتداخلها بالعلوم الرياضية والفيزيائية والبيولوجية)، فإن المثقف العربي غير المختص باللسانيات لن يواجه أية صعوبة عندما يقرأ هذا الكتاب باللغة العربية. بل إنه سيتجاوز مرحلة القراءة المفهومة إلى مرحلة الحافز والإرهاص الجدي الذي يدفعه للاطلاع على التراث اللساني الذي خلفه تشومسكي.

(2) وهذه النقطة تقودنا إلى نقطة ثانية حول ترجمة هذا الكتاب وهي أن المترجم اتبع ثلاث خطوات دقيقة في تغيير بعض ما جاء في متن الكتاب:

- فقد استبدل الأمثلة الإنكليزية التي أتى بها المؤلف جان ليونز بأمثلة عربية ملائمة، وبذلك حقق المترجم أمرين مهمين جداً: الأول هو أنه انتقل من عرض النظرية التشومسكية إلى تطبيقاتها

العملية على نحو غير مباشر على اللغة العربية. والثاني أنه استطاع أن يوصل فكرة تشومسكي إلى القراء العرب دون عناء وجهد بالغين ذلك لأنهم الآن أمام أمثلة تطبيقية باللغة العربية.

- وقد استبدل المترجم أيضاً القواعد التوليدية والتحويلية في نظرية تشومسكي والتي وضعها المؤلف جان ليونز بالإنكليزية... استبدلها بقواعد عربية أكثر تلاؤماً وفهما للمثقف العربي من تلك الموضوعة بالإنكليزية (على الرغم من أن لنا ملاحظاتنا حول هذه القواعد العربية) وبذلك فإن القواعد اللغوية الموضوعة أصلاً لوصف اللغات البشرية كما يدعي تشومسكي، تُنقل الآن إلى اللغة العربية بحيث يستطيع القارىء العربي أن يتعرف إليها وعلى طبيعتها المرتكزة على مفاهيم مستمدة من الرياضيات (كمفهوم النظم الشكلية ومفهوم المتواليات ومفهوم نظرية المجموعات.. إلخ).

- وأخيراً فقد وضع المترجم في نهاية الكتاب معجماً لسانياً صغيراً وبسيطاً باللغتين الإنكليزية والعربية. وهذا العمل يذلل بالطبع الكثير من المسائل والمصطلحات اللسانية الصعبة غير المفهومة للقاريء العربي. وتزداد قيمة مثل هذا العمل عندما نعلم أن قضية المعجم اللساني العربي مازالت تعاني من مشكلات كثيرة جداً، إذ ليس هناك معجم لساني عربي - إنكليزي واحد يمكن أن يكون شافياً وكافياً ومعيارياً (موحداً) في العالم العربي. ويزداد عجبنا عندما نعلم أن قضية المصطلحات والمعاجم أصبحت علماً قائماً برأسه في أوربة وأمريكا تخصص له أقسام قائمة برأسها. أضف إلى ذلك أن هناك آلاف المعاجم اللسانية الغربية التي تحاول شرح المصطلح اللساني شرحاً وافياً وواضحاً(2).

(3) هذه النقطة تتعلق بمتن الكتاب نفسه، إذ إن المؤلف جان ليونز وضح العلاقات القائمة بين اللسانيات وعلم النفس من جهة وبين اللسانيات والرياضيات من جهة أخرى.

(4) الميزة الرابعة التي تسم متن الكتاب أن المؤلف لا يعرض وجهة نظر تشومسكي اللسانية وحدها فحسب وإنما يعرض للنظريات اللسانية الأخرى التي عارضت نظرية تشومسكي وحاولت تقنينها ولاسيما النظريات الدلالية والفلسفية والنفسية. وهذا أمر مهم جداً، فبدونه لا يمكن تطوير المناهج والنظريات في حقل المعارف البشرية.

**ب. الجوانب السلبية:**

(1) النقطة الأولى في مجال السلبيات أنه ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن هذا الكتاب كان قد ألفه الباحث اللساني البريطاني جان ليونز عام (1972م). وهذا يعني أن الفترة الزمنية الواقعة منذ عام تأليف هذا الكتاب وحتى سنة (1988م) تبلغ ستة عشر عاماً. وينبغي ألا ننسى في الوقت نفسه أن نظرية القواعد التوليدية والتحويلية حققت خلال هذه الفترة تطورات مدهشة وسريعة نحو الأفضل، بل إن هناك مناهج كثيرة كان تشومسكي نفسه قد رفضها من أساسها أو أنه عدلها بعض التعديل. وحجته في ذلك أنه حتى في العلوم الطبيعية الحديثة والدقيقة لا يمكننا دراسة ظاهرة فيزيائية معينة على نحو دقيق وشامل إلا من خلال التطوير والتعديل المستمر للفرضيات والمناهج المطروحة وذلك من أجل إيجاد نظرية شاملة ودقيقة وأكثر موضوعية من سابقاتها. والواقع إن المناهج التي عرضها المؤلف في هذا الكتاب هي التي كان تشومسكي قد وضعها منذ عام (1957م) وحتى تاريخ تأليف هذا الكتاب (1972م) وهي التالية:

(1) منهج نحو المواقع المحدودة.

(2) منهج نحو العبارات (التوليدي).

(3) منهج النحو التحويلي.

(4) منهج نحو العناصر.

وكما قلت آنفاً فإن نظرية تشومسكي قد مرت بعد هذه المناهج في مراحل عديدة استطاعت أن تطور من نظريته وتجعلها أكثر علمية وقبولاً في اللسانيات الحديثة ومن هذه المناهج:

(1) المنهج المعياري المعدل (الموسع).

(2) منهج الضوابط اللغوية

(3) منهج العامل والربط الإحالي.

(4) منهج المعرفة اللغوية: أصولها، طبيعتها، استعمالها.

(5) منهج النحو العالمي.

(6) منهج الحد الأدنى من البرنامج اللساني.

وربما يكون من المفيد جداً في هذا المجال أن يعيد الباحث البريطاني جان ليونز كتابة الكتاب نفسه ليكون أكثر إنصافاً وعدلاً في الحكم على فكر تشومسكي.

(2) النقطة السلبية الثانية تتعلق بتقنية الترجمة، إذ إن المترجم لم يتبع خطة تنسيقية موحدة في ترجمة المصطلحات اللسانية، تلك الخطة التي أكد عليها في مقدمة الترجمة عندما قال (ص 5):

> «ولسوء الحظ فإن المعجم العربي لايزال يفتقر إلى الترجمة الدقيقة لكثير من المصطلحات اللغوية الحديثة. وهذا على الرغم من وجود محاولات عديدة قام بها أساتذة مختصون لتعريب تلك المصطلحات

إلاأن جهودهم لم تحقق الغاية المطلوبة لأنها كانت جهوداً متفرقة يعوزها التنسيق والتوحيد، ولايزال لكل إجتهاده في هذا المضمار».

ولا أبالغ إذا قلت: إن هذا الذي كان قد دعا إليه المترجم لم يحققه على نحو تام في كتابه المترجم، ذلك لأننا نجد أن للمصطلح اللساني الإنكليزي أكثر من مصطلح في اللغة العربية. فالمصطلح الإنكليزي (Linguistics) كان يُترجم إما (لسانيات) وإما (علم اللغة) ويمكن أن نستدل على هذا من خلال النصوص المترجمة التالية:

اتخذ **علم اللغة** خلال السنوات الماضية طابعاً خاصاً ...» (ص 5).

«ولم تكن شهرة تشومسكي ومكانته بين **علماء اللغة** هي التي جعلت منه واحداً من أعلام الفكر الحديث، **فاللسانيات** ليست سوى موضوع مغلق لا يكاد يعرفه سوى صفوة من الناس...» (ص 8).

وكذلك الشأن في المصطلح الإنكليزي (Syntactic) الذي كان يترجم إما (نحوي) وإما (لغوي) كما هو الأمر في (ص 33) و(ص 65). وهناك مصطلحات كثيرة لم تترجم وفق مصطلحات عربية معيارية موحدة. ويعود هذا - ربما - إلى ما كان قد ذكره المترجم نفسه من أن جهود الباحثين العرب العاملين في هذا الحقل لم تحقق الغاية المطلوبة لأنها جهود متفرقة يعوزها التنسيق والتوحيد.

(3) النقطة السلبية الثالثة حول الكتاب تتعلق أيضاً بالترجمة، إذ إن المترجم لم يحاول أن يضع المفاهيم اللسانية الغربية بمصطلحات عربية أصيلة مستمدة من التراث اللغوي العربي ذلك لأن بعض هذه المصطلحات العربية القديمة تعني المفهوم نفسه الذي عناه المصطلح اللساني الغربي.

فالمترجم مثلاً كان يترجم المفهوم اللساني المعبر عنه بـ (Optional Rules) بمصطلح عربي معاصر يعبر عنه بـ (قواعد اختيارية) وكذلك الشأن في المفهوم (Obligatory Rules) الذي ترجمه إلى (قواعد إجبارية) (ص 66). ولو أن المترجم استمد مصطلحاته من التراث العربي لكانت ترجمته أدق تعبيراً، ذلك لأن ترجمة هذين المفهومين الغربيين يمكن أن تكون للأول (القواعد الجوازية) وللثاني (القواعد الوجوبية) ذلك المفومان اللذان يعنيان ما عناه تشومسكي بالضبط. زد على ذلك أن المترجم لم يترجم القواعد اللسانية الإنكليزية بقواعد عربية أصيلة مستمدة من التراث اللغوي العربي. فهو مثلاً يترجم الـ (NP) بـ (**ت/إس**) أي تركيب إسمي، والـ (VP) بـ (**تر/فع**) أي تركيب فعلي، والـ (N) بـ (إس) أي اسم، والـ (S) بـ (ج) أي جملة.

والواقع أن مثل هذه الترجمات هي ترجمات عصرية لا تؤدي الغرض الذي تهدف إليه ذلك أننا إذا أردنا نقل المفاهيم اللسانية الغربية التقنية فإنه لا مجال إلا أن نعود إلى المصطلحات العربية التي يمكنها أن تعني المفهوم اللساني الغربي نفسه وبذلك نكون قد حققنا هدفين في آن واحد. الأول أننا لم ننقطع عن التراث بل حاولنا استثماره عصرياً. والثاني أننا نقلنا المفاهيم اللسانية الغربية على نحو واضح وسليم ومفهوم.

والحقيقة هناك نماذج عربية لسانية عصرية حاولت أن تستمد مكوناتها من النظرية اللسانية العربية القديمة وأن تستفيد في الوقت نفسه من التقنيات الحديثة للنظريات اللسانية الغربية. من هذه النماذج مثلاً النموذج اللساني العربي الواقعي والحديث والذي وضعه صاحب هذه السطور[3].

وهكذا فإن جملة مثل (الرجل رمى الكرة) يمكن وضعها في إطار

من المصطلحات والمقولات العربية الأصيلة ثم في إطار من التقنية اللسانية الغربية.

(1) إس ←— م إ - م

(2) م إ1 ←— إسم1

(3) م 1 ←— إس

(4) إس ←— م - م إ - ف

(5) م 2 ←— فعل

(6) م إ 2 ←— ضمير

(7) ف ←— اسم2

(8) إسم ←— تع - إ

(9) تع ←— الـ

(10) إ ←— رجل، كرة

(11) فعل ←— رمى

(12) ضمير ←— (هو)

إس = إسناد، م إ = مسند إليه، م = مسند، ف = فضلة، تع = تعريف، إ = اسم.

صحيح أن المترجم وفق في اختيار الأمثلة العربية التي تماثل تماماً الأمثلة الإنكليزية، إلا أن وضعها في إطار من القواعد كان وضعاً عصرياً هشاً.

ويعود السبب في هذا (وأظن ذلك) إلى عدم إطلاع المترجم على النماذج اللسانية المعاصرة التي تستمد إحدى مكوناتها النظرية من التراث اللغوي العربي[4].

(4) النقطة السلبية الايجابية الرابعة في ترجمة هذا الكتاب هي أن المترجم لم يتحقق تماماً من بعض الآراء والنتائج التي توصل إليها مع أنها نتائج مهمة جداً وخطيرة جداً في الوقت نفسه. فقد كان قد أشار في المقدمة (ص 6) إلى أن:

«ما وصل إليه النحو العربي من التطور منذ قرون عديدة تحاول النظرية النحوية الحديثة الرائجة في الغرب حالياً أن تدركه. فالنحاة العرب أدخلوا الفكرة التحويلية التوليدية في صلب قواعد اللغة العربية ولو أنهم لم يطلقوا عليها نفس التسمية. وما قواعد الحذف والإضافة والتقديم والتأخير ومفهوم (التقدير) في الإعراب إلا جزء من القواعد التحويلية الموجودة في صميم اللغة العربية. وأغلب الظن - وهذا هو اعتقادي الشخصي - أن تشومسكي أخذ مبادىء نحوه التحويلي عن العربية من خلال اللغة العبرية التي قدم رسالته لنيل درجة الماجستير فيها، ومن المعروف أن للنحو العربي أثراً بالغاً في النحو العبري».

الواقع إن هذا الكلام يحتاج إلى نقاش هنا، ذلك لأن هذه الآراء والنتائج تومىء للقارىء العربي بأن نظرية النحو التوليدي والتحويلي إنما هي نسخة عن نظرية النحو العربي وأن تشومسكي لم يفعل في هذا المجال شيئاً اللهم إلا بعض الأمور التقنية المستمدة من العلوم الحديثة.

إن هذه النتيجة التي توصل إليها المترجم كما قلت سابقاً هي نتيجة محفوفة بالخطر والحذر (سلبية) ذلك لأنها لا تخضع لقانون التطور العلمي للحضارات البشرية. وكأنها تؤيد مقولة «ما ترك الأول للآخر من شيء» ومقولة «ليس بالإمكان أبدع مما كان». ولعلي لا أريد التفصيل في هذه النقطة بالذات ذلك لأنني بحثتها في كتابات أخرى[5]. ولكن الذي أريد أن أؤكد عليه هنا أن ما قاله الفيلسوف اليوناني القديم هيرقليطس من أننا «لا نستطيع أن نستحم بماء النهر مرتين» إنما هو

صحيح من الناحية العلمية. ذلك أن لكل ثقافة من الثقافات ناموسها المتطور طبقاً لزمانه ومكانه. وهذا يعني أن ماهية النظرية اللغوية القديمة وموضوعها وغايتها إنما تختلف كلها من حيث المنطلق الفلسفي عن ماهية النظرية اللسانية الحديثة وموضوعها وغايتها.

ولكن هذا لا يعني أن النظرية اللسانية الحديثة لم تستفد من النظرية اللغوية القديمة (ماهية وموضوعاً وغاية)، ذلك لأنه لا يمكن أن تأخذ النظرية اللسانية الحديثة شرعيتها العلمية التي تجعل منها أكثر شمولية ودقة وموضوعية ما لم تستفد من النظرية اللغوية القديمة برمتها. وهذا بالضبط ما أعنيه بالنتيجة المهمة الإيجابية التي توصل إليها المترجم.

وفي رأيي أن الغرب لو التفت تماماً إلى ما قاله العرب القدماء في حقل الدراسات اللغوية لحُلَّت مشكلات لسانية كثيرة تعاني منها النظرية اللسانية الغربية. وهكذا فإن استفادة تشومسكي من النظرية اللغوية الغربية تقع في هذا الإطار.

صحيح أن تشومسكي تكلم عن الحذف والإضافة والتقديم والتأخير والتقدير وما إلى هناك من أمور لغوية كان قد تحدث عنها العرب القدماء (وهذه بالطبع نقطة إيجابية) إلا أن كل هذا يقع في إطار استفادة النظرية الحديثة من المعلومات المفيدة المجمّعة في التراث اللغوي العربي والعالمي. ولكن هذا لا يعني أبداً أن النظرية اللسانية الحديثة (كنظرية) تشبه أو تماثل النظرية اللغوية القديمة (كنظرية، إن كان هناك نظرية متماسكة). النظرية اللسانية الحديثة هي نظرية ذات مباديء وقوانين علمية متماسكة ومنطقية. هذه المبادئ والقوانين العلمية استمدت معاييرها ومقاييسها من العلوم الطبيعية الدقيقة (كالرياضيات والفيزياء والبيولوجيا وهندسة الحاسبات الالكترونية). أما النظرية اللغوية القديمة فهي عبارة عن ركام

من المعلومات المجمعة والمهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية. ولكنها لم تبلغ حد بناء النظرية الحديثة (بالمفهوم الرياضي والفيزيائي لتعريف النظرية)[6].

والنتيجة هي أن «النتيجة» التي توصل إليها الباحث المترجم يمكن أن تصاغ كالتالي: لقد استفاد تشومسكي من المعلومات اللغوية العربية القديمة كما اعترف هو نفسه، تلك المعلومات المهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية والتي ضمنها في نظريته التوليديه والتحويلية. ولكن تشومسكي في الوقت نفسه وضع نظرية لسانية حديثة (بالمفهوم الرياضي - الفيزيائي) تعتبر في رأيي طفرة في تاريخ الفكر اللغوي العالمي. من هنا تأتي أهمية اللسانيات الحديثة كعلم قائم برأسه استفاد من المعلومات القديمة المجمعة (العربية وغير العربية) المفيدة و الموجودة في التراث اللغوي العالمي ومن المعلومات اللغوية الحديثة أيضاً. وبعدها صاغ نظرية حديثة جداً استمدت مكوناتها وأركانها ومقاييسها ومعاييرها من العلوم الرياضية والفيزيائية والهندسية والبيولوجية الدقيقة.

وخلاصة القول يعتبر هذا الكتاب واحداً من الكتب المترجمة والمهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية الحديثة. والحق يقال لولا تخصص المترجم بالموضوع الذي يعالجه الكتاب ثم معالجته بعض التخريجات المتعلقة بتقنية الترجمة لما جاء الكتاب واضحاً وسهلاً وبسيطاً يستطيع المثقف العربي غير المتخصص أن يفهمه ويستوعبه.

## نتائج ومقترحات

(1) نحن بحاجة إلى علماء يكرسون وقتهم لترجمة المصطلح العلمي اللساني إقتداءً بالعلماء العرب القدامى الذين كرسوا حياتهم لخدمة العربية بحثا وترجمة.

وينبغي ألا يقوم بعملية الترجمة إلا ذوو التخصصات الدقيقة وذلك لمعرفتهم بالموضوع المترجم ودرايتهم به لغة وموضوعاً. وبهذا فإننا لن نقدم مادة دقيقة ومفهومة فحسب بل سنخدم القارئ أيضاً بالإستفادة الناجعة والفهم المتطور البناء.

(2) التخطيط الدقيق والسليم والمؤدي إلى وضع خطط زمنية معينة لكل موضوع لساني نريد أن نترجمه. وهذا بالطبع يتم بالتنسيق مع المؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية. وينبغي أن يشرف على هذه الخطط لسانيون مختصون باللسانيات وفروعها النظرية والتطبيقية.

هذا التخطيط العلمي الواعي لعملية الترجمة سيمكننا من تأسيس علوم معرفية نافعة لمجتمعنا العربي إذا عرفنا كيف نستثمر هذه الترجمات في بناء الثقافة العلمية العربية المعاصرة.

(3) من واجبات الباحثين العرب المختصين بالعلوم اللسانية دفع العجلة القومية والاجتماعية والثقافية والنفسية (الفردية والجماعية) بإتجاه إنشاء كليات أو معاهد تقنية للعلوم اللسانية والترجمة، في جامعات الوطن العربي يكوِّن فيها قسم اللسانيات التطبيقية وقسم الترجمة وقسم اللسانيات الحاسوبية نواة هذه الكلية. بحيث تتعاون هذه الأقسام على تقرير مواد متداخلة بينها (الترجمة وعلاقتها باللسانيات، الترجمات الآلية، الحاسوب ودوره في بنوك المصطلحات). أضف إلى ذلك أنه ينبغي أن يكون هناك مواد في اللسانيات التطبيقية والحاسوبية والترجمة تدُرَّس باللغة الإنكليزية وذلك لجعل نافذة الثقافة العربية اللسانية مفتوحة على كل جديد.

على أن يكون الهدف من إنشاء هذه الكلية تخريج طلاب يلمّون بهذه الموضوعات المتداخلة ولاسيما الترجمة الكتابية والشفاهية.

وينبغي على هؤلاء الطلبة اتقان اللغتين الانكليزية والعربية نحواً وبلاغة وكتابة.

(4) إن عملية الترجمة ينبغي أن تكون في حالة بناء قاعدة معرفية (ابستيمولوجية) واضحة. ثم ينبغي أن نضيف إلى هذه الترجمة الفكر العربي الفاعل، لتكون القاعدة المعرفية في حالة من التفاعل، وإلا فإن هذه الترجمة ستكون عرضة لاسقاطات التجزؤ والتخلف وغياب الهوية العربية المعاصرة. ذلك لأن الترجمة إذا كانت من أنموذج حضاري قوي إلى ثقافة فوضوية مبعثرة فإن هذا سيدعى إسقاطاً أو تسلطاً حضارياً. من هنا تأتي أهمية المفاعلة في عملية الترجمة.

(5) الانتقال من مرحلة الترجمة اللسانية عن الغرب إلى مرحلة التفكير العربي اللساني. هذا التفكير ينبغي أن يكون ذا طابع عربي في مصطلحاته. إن الفرق بين صياغة نظرية عربية وبين ترجمة نظرية غربية ووضعها في إطار عربي هو فرق في النوعية اللغوية.

فإذا استطعنا تكوين إطار فكري عربي واقعي لهذا العلم فإن الخطوة الثانية هي أن نشذب ونهذب ونطور هذا الإطار المعرب.

وإذا كنا ندعو لأن تكون العربية وسيلة الاتصال والبيان والبحث اللساني فإننا ندعو في الوقت نفسه لأن تكون الإنكليزية لغة ثانية وذلك لعالميتها وتقنيتها المتطورة باستمرار.

(6) وأخيراً أدعو نفسي أولاً وأدعو كل الأخوة الزملاء العاملين في اللسانيات الحديثة أن يترجموا الكتب والبحوث المفيدة والحديثة في الوقت نفسه إلى اللغة العربية، لتكون ترسانة ثقافية وعلمية صلبة تقف في خط التوازن الحضاري مع حضارات الأمم الأخرى. وذلك

لتثبيت الإنسان العربي المعاصر وتسليحه بأنجع العلوم والتقنيات الحضارية لخدمة الإنسان والإنسانية.

والله أعلم،،

## الإحالات والهوامش

*) يعمل أستاذاً في قسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

1) الخطيب، د. حسام (1977 ص 358-361) **ملامح في الأدب والثقافة واللغة**. وزارة الثقافة والإرشاد القومي - سورية.

2) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع (بالإنكليزية):

القاسمي د. على (1983) اللسانيات والمعاجم الثنائية اللغة. بريل - ليدن. وراجع أيضاً (بالعربية) القاسمي. د. علي (1980) «المصطلحية (علم المصطلحات)»، **مجلة اللسان العربي** الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط - المغرب. العدد 18 (ص 7). وراجع أيضاً (بالعربية) **صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية**. أبحاث الدورة التدريبية. الرباط من 31 آذار إلى 8 نيسان 1981 مكتب تنسيق التعريب. المغرب.

3) لمعرفة هذا النموذج بالتفصيل راجع (بالعربية والإنكليزية).

الوعر، مازن (1987) **نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر -'دمشق - سورية.

4) لمعرفة بعض النماذج العربية اللسانية المعاصرة راجع:

أ. صالح، د. عبدالرحمن (1971-1972) «مدخل إلى علم اللسان الحديث»، **مجلة اللسانيات** الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر المجلد الأول (الجزء (2-1والمجلد الثاني (جزء 1).

ب. الفاسي فهري، د. عبدالقادر (1985) **اللسانيات واللغة العربية**. دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب.

5) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع:

أ. الوعر، مازن (1988 الفصل الخامس والسادس)، **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث - مدخل**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق - سورية.

ب. الوعر، مازن (1989 الفصل الأول) «اللسانيات والمنهجية الجديدة للغة العربية». كتاب دراسات لسانية تطبيقية. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق - سورية.

ج. الحوار الذي أجرته معي جريدة الثورة (السورية) العدد 7569 الخميس 14 كانون الثاني 1988.

6) لمعرفة طبيعة بناء النظريات العلمية الحديثة بالمفهوم الرياضي - الفيزيائي راجع:

Woodger, Joseph (1970). **The Technique of theory construction.**

The university of Chicago press. U.S.A.

* * *